جامعة الشاذلي جديد – الطارف

المؤتمر الدولي : الدراسات البينية في العلوم العربية

يوم 15 أكتوبر 2024

الاسم واللقب :إيمان بوقردون

المؤسسة : جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم اللغة العربية

الرتبة: أستاذ محاضر –أ–

البريد الالكتروني : **imenbouk319@gmail.com**

المحور الخامس :التكامل المعرفي والعلمي بين العلوم والمعارف

عنوان المداخلة : التكامل المعرفي التحصيلي وأهميته في التراث العربي ؛ قراءة في نص " توجيهات إلى الكتاب " لعبد الحميد الكاتب ت132هـ

الملخص :

تميز تراثنا العربي بالشمولية والاتساع ، ولعل مرد ذلك نظرة الإنسان القديم الشمولية للكون وللحياة ، والتي فرضت عليه أن يأخذ بأطراف العلوم على اختلافها ، مع قدرة كبيرة في المحافظة على طبيعة المعارف التي يجمع بينها ، ومع وعي عميق بأن العلوم تتكامل ، وأن هناك من الحقول المعرفية ما لا يستقيم إلا بالاتكاء على صنوف أخرى من العلوم .

وفي نصوصنا التراثية ما يعزز هذه الحقيقة ويدعمها، ويؤكد على أهمية تضافر العلوم في سبيل أن تثمر الجهود ، وتؤتي ثمارا طيبة، وهو حال نص عبد الحميد الكاتب "توجيهات إلى الكتاب" والذي حث فيه على التكامل المعرفي التحصيلي لفئة كتاب الدولة ، والذين نظر إليهم كهيئة لها نفوذها وخطورتها في المجتمع ، فراح يحضهم على الأخذ بالمعارف المطلوبة والتي تخولهم وتهيئهم لتقلد تلك المناصب الحساسة في الدولة .

الكلمات المفتاحية : التكامل ، المعرفي ، التراث ، العربي ، رسالة عبد الحميد الكاتب .

Abstract

Our Arab heritage is characterized by inclusivity and breadth, perhaps due to the ancient man's holistic view of the universe and of life. Which forced him to take different sides of the science. with great ability to preserve the nature of the knowledge they combine, With a deep awareness that science is complementary, and that there is a field of knowledge that is based only on other types of science.

Our heritage texts reinforce and support this fact, emphasize the importance of synergy of science in order for efforts to yield fruits, which is the case of Abdul Hamid Al-Kateeb's text. "Directions to the book", in which he urged the acquisition of knowledge of the category of State writers, who he viewed as a body with influence and gravity in society, urges them to adopt the required knowledge that empowers them and prepares them to hold such sensitive positions in the State.
Keywords: Integration, Knowledge, Heritage, Arabic, Abdul Hamid Al-Katib's Letter.

مقدمة

تميز تراثنا العربي بالشمولية والاتساع ، ولعل مرد ذلك نظرة الإنسان القديم الشمولية للكون وللحياة ، والتي فرضت عليه أن يأخذ بأطراف العلوم على اختلافها ، مع قدرة كبيرة في المحافظة على طبيعة المعارف التي يجمع بينها ، ومع وعي عميق بأن العلوم تتكامل ، وأن هناك من الحقول المعرفية ما لا يستقيم إلا بالاتكاء على صنوف أخرى من العلوم .

وفي نصوصنا التراثية ما يعزز هذه الحقيقة ويدعمها، ويؤكد على أهمية تضافر العلوم في سبيل أن تثمر الجهود ، وتؤتي ثمارا طيبة، وهو حال نص عبد الحميد الكاتب "توجيهات إلى الكتاب" والذي حث فيه على التكامل المعرفي التحصيلي لفئة كتاب الدولة ، والذين نظر إليهم كهيئة لها نفوذها وخطورتها في المجتمع ، فراح يحضهم على الأخذ بالمعارف المطلوبة والتي تخولهم وتهيئهم لتقلد تلك المناصب الحساسة في الدولة .

وقد جاءت هذه الورقة البحثية لتجيب عن التساؤلات الآتية :

1- ما حقيقة التكامل المعرفي في التراث العربي ؟ وهل كان حتمية أم اختيارا؟

2- ما المعارف الواجب تكاملها في شخص كاتب الدولة في التراث العربي ؟ و كيف تخم هذه المعارف المتكاملة صاحبها والدولة التي يخدمها؟

- أولا/ مفهوم التكامل المعرفي

التكامل في اللغة هو" أن جزء الشيء أو الأجزاء المتعددة للشيء الواحد قد اتحدت وأخذت شكلا واحد".[1]

إذا فالتكامل هو الطريقة التي يتم بها ربط أجزاء الشيء الواحد ترابطا منسجما، ومنه فالتكامل في العلوم هو ربط المعارف بعضها ببعض، من منطلق نظرة خاصة تنظر إلى العلوم والمعارف على أنها كل متكامل يجسد طبيعة عقل الإنسان المركب لا الجزئي.

وعليه فالتكامل المعرفي هو" إقامة علاقات مترابطة بين المعارف المتناثرة بحيث تحقق مبدأ الاتصال المعرفي، وإقامة علاقات قوية بين مجموعة من المعارف شريطة أن تبقى متميزة في طبيعتها" .[2]

وقد عرف عن العلماء في تراثنا العربي إلمامهم بالعلوم والمعارف النقلية منها والعقلية منطلقين من مبدأ أن العلوم تكمل بعضها بعضا، وأن الإسلام إنما نص على طلب العلم والأخذ به وترك للعقل البشري الحرية في التفكير والبحث مع حمايته بنص مشرع يحدد له العقيدة ويمنع عنه الخوض في الأمور الغيبية.

ثانيا / نص" توجيهات إلى الكتاب لعبد الحميد الكاتب "نموذج للتكامل المعرفي في التحصيل العلمي .

أ- مناسبة الرسالة :

وجه عبد الحميد الكاتب هذه الرسالة إلى الكتاب في الدواوين الأموية ، يرسم فيها الخطوط العامة لسياستهم وسلوكهم الأخلاقي والاجتماعي والثقافي كموظفين مسؤولين عن كيان الدولة ، لا يرتقون إلى منصب الكتابة الديوانية إلا إن توفرت فيهم مؤهلات وشروط وضحها لهم في نصه هذا ، ممثلة في جملة من العلوم والمعارف وجب على من يتقلدون هذه المناصب العمل على تحصيلها .

وهي تنبئ عن نظرة موسوعية شمولية تربط بين السياسة وحنكتها والعلوم الواجب توفرها لخدمة هذا المقام .جاء في نص عبد الحميد الكاتب (132هـ) :

"... بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها ، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ، وتعمر بلدانهم ، ولا يستغني الملك عنكم ، ولا يوجد كاف إلا منكم ، فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون ، وأبصارهم التي بها يبصرون ، وأيديهم التي بها يبطشون .

وليس أحَدٌ من أهل الصناعات كُلِّها أحوجُ إلى اجتماع خلال الخير المحمودة، وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم — أيها الكُتَّاب — إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم؛ فإن الكاتب يحتاج من نفسه، ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مُهِمَّات أمُورِهِ، أنْ يكُون حليمًا في مَوضِع الحلم، فهيمًا في موضع الحكم، مقْدامًا في موضع الإقدام، محجامًا في موضع الإحجام مؤثرًا للعفاف والعدل والإنصاف، كتومًا للأسرار، وفيًّا عند الشدائد، عالمًا بما يأتي من النوازل، يضع الأمور مواضعها، والطوارق في أماكنها، قد نَظَرَ في كل فن من فنون العلم فأحكمه، وإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار من الحسن، واحتال على صرفه عما يهواه من القبح بألطف حيلة وأجمل وسيلة.

فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين ، وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ، ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم ، ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم ، واروا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها ، وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها ، فإن ذلك معين لكم على ما

تسمو به هممكم، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودنيها ، فإنها عداوة مجتلبة من غير إحنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم ، وتواصوا عليها بالذي هو أليق بأهل الفضل والنبل والعدل من سلفكم " .[3]

ب- مضمون الرسالة :

الرسالة التي بين أيدينا رسالة مكثفة بطاقات إبداعية مختلفة عمد فيها الكاتب إلى الاستدلال والحجاج بالأدلة المختلفة ليبين مكانة الكتاب في الدولة وأن الدولة تحتاج إلى باطنهم من أخلاق وقيم كما تحتاج إلى ظواهرهم من توسع في العلوم والمعارف.

ونصه هذا عبارة عن نص إيعازي حجاجي يغلب عليه النصح والإرشاد لفئة يدور عليها رحى الدولة الأموية، فهي كما جاء في الرسالة بمثابة العين والأذن واليد للحاكم ، ولذا فإن مكانتهم تلك أملتها الأدوار التي يقومون بها، والمتمثلة تحديدا في صياغة الرسائل الصادرة عن الخليفة والسلطان .

وبالرغم من أن الرسالة قد حملت الكثير من الأنساق الثقافية المضمرة التي تشير إلى ولاء مطلق للدولة الأموية وتحذير ضمني من الخروج عليها والانشقاق عنها، وقد عكس بهذه الرسالة توجهه السياسي والمذهبي ، إلا أنها في الوقت ذاته نموذج للتجديد جعلت من عبد الحميد " مخترع طريقة ،استجمع شروط البلاغة، فعد أمير المنشئين غير مدافع"[4] فقد ألبس البلاغة ثوبا جديدا، وابتدع نهجا مختلفا في تدبيج الرسائل، والتفنن باللغة، مع التخفف من السجع المثقل لكاهل النصوص .

ولعل الرسالة أن تكون زبدة تجربة عبد الحميد في ديوان الإنشاء وخلاصتها، ولهذا صب فيها كل ما يملك من توجيه ، فجاءت محملة بطاقات حجاجية كبيرة ،لخص فيها ما يجب على أرباب الكتابة من ضوابط ومؤهلات .

- ثالثا : الكتابة الديوانية / الرسمية وحتمية التكامل المعرفي

قال القلقشندي " الترسل مبني على مصالح الأمة و قوام الرعية لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك ، وسراة الناس في مهمات الدين و صلاح الحال و بيعات الخلفاء و عهودهم ، و ما يصدر عنهم من عهود الملوك ، وما يلتحق بذلك من ولايات أرباب السيوف و الأقلام الذين هم أركان الدولة و قواعدها "[5] إذا فالرسائل الديوانية أو السلطانية هي التي تصدر عن ديوان الخليفة أو الملك ، يوجهها إلى ولاته وعماله وقادة جيشه ، بل و إلى أعدائه منذرا و مهددا ، أو أحلافه مهنئا و مبشرا .

وقد كان لكل خليفة أو ملك كاتب أو كتّاب يتولون الكتابة عنه ، في كل مهام الدولة و شؤونها من رسائل و منشورات و عهود ومبايعات ، ولم يكن يرقى إلى منصب الكتابة لدى الخلفاء و الملوك إلا كبار الأدباء و الشعراء في عصرهم .

و الكتَّاب" هم ألسنة الملوك ، إنما يتراسلون في جباية خراج ، أو سد ثغرة ، أو عمارة بلاد ، أو إصلاح فساد ، أو تحريض على جهاد ، أو دعاء إلى ألفة ، أو نهي عن فرقة ، أو تهنئة بعطية ، أو تعزية برزية ، أو ما شاكلها من جلائل الخطوب "[6].

وعليه فالرسالة الديوانية وسيلة إعلامية تعرف بنظام الدولة و تسهم في تثبيت دعائم حكم الأمراء و السادة و الخلفاء ، و هي بذلك أقدم وثيقة يمكن العودة إليها للإحاطة بجوانب الحياة السياسية و الاجتماعية و الثقافية المختلفة لفترات متباينة من تاريخ الدول .

ولهذا كان لهذا النوع من الكتابة خصوصية جعلت منها أرقى المهام في الدولة قديما وحديثا، وقد أجمع العلماء على أنها تحتاجا زادا ثقيلا واطلاعا واسعا بحيث يأخذ صاحبها من كل علم بطرف، فينعكس ذلك على كتاباته وهو ما نجده واضحا عند أبي هلال العسكري حين قال" إن الكتابة الجيدة تحتاج إلى أدوات جمة، وآلات كثيرة، من معرفة العربية لتصحيح الألفاظ، وإصابة المعاني، وإلى الحساب، وعلم المساحة، والمعرفة بالأزمنة والشهور والأهلة ..."[7] ليجعل منها حقلا معرفيا واسعا يجمع علوما بعضها متقارب وبعضها الآخر بعيد الأطراف.

وهو ما سبق إليه عبد الحميد الكاتب في رسالته هذه ، والتي انطلق فيها من بيان مكانة الكتاب وموقعهم الاستراتيجي في الدولة، فهم حلقة الوصل بين الحاكم والمحكومين، وهي بنية استهلالية محكمة البناء أراد من خلالها تنبيه الكتاب إلى خطورة مهمتهم .والتي تتأتى فقط لمن جمع الأخلاق والعلم وفنيات الكتابة، وفي يقينه أنه كاتب ، وللكتابة عليه حقوق.

وجعل من الشروط والمؤهلات لتقلد هذا المنصب باقة من الأخلاق والمبادئ، وحزمة من المعارف يتزود بها الكاتب مردفا كلا منها بالحجج الدامغة المقنعة ، ويأتي في مقدمتها :

1- العلم بكتاب الله

يتراءى لمتلقي نص عبد الحميد أنه لم يجمع المعارف المطلوب توفرها في شخص الكاتب جمعا اعتباطيا، وإنما قصد إلى ذلك قصدا ، وجعل في مقدمة هذه العلوم العلم بكتاب الله عزو جل ، كمصدر للوحي ومرجع للمعرفة، منه البداية والمنتهى، فهو كتاب معجز جامع ، ويشترك في محطة الانطلاقة هذه علماء كثر ، يقول المبرد " وأفضل ما قصد له من العلوم كتاب الله جل ذكره، والمعرفة بما حل فيه من حلاله وحرامه وأحكامه. " [8].

وللتمكن من هذا العلم ومعرفة كتاب الله وتفسير آيه ، اشترط العلماء ذخيرة كبيرة من العلوم والمعارف بل إن هناك من العلوم ما يحتم على من أراد الأخذ بها أن يؤسس لها بجملة من المعارف المسبقة والمكملة ، يقول في ذلك السيوطي في حديثه عن علم التفسير مثلا، قال" من أراد أن يتعاطى

التفسير لزمه من علماء المسلمين التبحر في خمسة عشر علما منها اللغة والنحو والصرف والاشتقاق وعلوم البلاغة وعلم القراءات وأصول الدين والفقه، والقصص، والتاريخ ..."[9]

ولنا أن نتخيل اجتماع هذه العلوم أو بعضها فيمن يتصدر للكتابة، وكيف أن هذا التكامل المعرفي سيلقي بظلاله على ما ينتجه من كتابات .

ثم إن الأديب عموما والكاتب خصوصا لا يستغني عن كتاب الله وما جاء فيه من تناسق وتكامل وإعجاز في مستوياته جميعا، بل إن القرآن الكريم يعد مرجعية لأرباب القلم جميعا، ينهلون من لغته وبيانه و دقة تراكيبه وبراعته المعجزة .

ومما لا مشاحة فيه أنه لا يوجد من أصحاب اليراع من لم يتكئ على نصوص القرآن الكريم ولم يستثمر في طاقاته الإبداعية وفي مجازاته وصوره، ولغته وتراكيبه ، وبالرغم من أن العرب كانوا أهل فصاحة وبيان إلا أنهم وقفوا حائرين أمام هذا النص المقدس الذي تجاوز قدراتهم كلها وما بلغوه من تفنن في اللغة يومئذ ، بل " كان فحول الشعراء من الجاهلية كأن كل واحد منهم قبيلة في التفنن والإبداع مجازا واستعارة وبديعا، ثم جاء القرآن الكريم فكان الغاية كلها ." [10]

2- التفقه في اللغة العربية

أساس الكتابة ومدارها المعرفةُ باللغة العربية وأسرارها ومعانيها وإعرابها وغريبها، والتحكم في علومها والتبحر في أساليبها ، و هو مفتاح هذه الصنعة.

يقول أبو هلال العسكري صاحب كتاب "الصناعتين" والذي جمع فيه بين البلاغة والنقد ومباحث في الإعجاز القرآني " إن أحق العلوم بالتعلم بعد المعرفة بالله علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي يعرف به إعجاز كتاب الله تعالى "[11] فالطريق إلى العلم بكتاب الله إذا هو طريق اللغة العربية .

وقد بذلت في سبيل اللغة العربية جهود كبيرة لحمايتها و أحيطت برعاية خاصة " فكما اتجه المحدثون إلى الحديث يجمعونه، والفقهاء إلى الحديث وفتاوى الصحابة والتابعين يدونونها، اتجه قوم إلى اللغة يجمعونها وكانت مهمتهم جمع الكلمات التي نطق بها العرب وتحديد معانيها، فرحل العلماء إلى البادية بمدادهم وصحفهم يسمعون ويكتبون، ورحل عرب البادية إلى الحضر ليؤخذ عنهم[12] . ما يدل على عناية شديدة حظيت بها اللغة العربية جعلت منها رافدا مهما من روافد المعرفة ، وحقلا خصبا من حقول العلم.

وفي ذلك يقول المبرد " أفضل العلوم –بعد العلم بكتاب الله – علم اللغة وإعراب الكلام ، فإن بذلك يقرأ القرآن ، وعليه تروى الأخبار والأشعار ، وبه يزين المرء كتابه ويحلي لفظه "[13] .

ويقول الأنباري " إن من أشرف العلم منزلة وأرفعه درجة وأعلاه رتبة معرفة معاني الكلام[14] "...وعلى الرغم من أن العرب أهل فصاحة وبيان إلا أنهم لم يتوانوا عن تقويم ألسنتهم وتصحيح ما

دخله الفساد ودب فيه اللحن ، يقول في ذلك صاحب المنهاج " وأنت لا تجد شاعرا مجيدا إلا وقد لزم شاعرا آخر المدة الطويلة ، وتعلم منه قوانين النظم، واستفاد عنه الدربة في أنحاء التصاريف البلاغية"[15] .

بل يتعجب القرطاجني ممن يظن أنه بلغ المراتب العليا من معرفة اللغة وتمكن من ناصيتها وهي البحر الذي لا ينضب، يقول بعد أن استدل على أن الشعراء المجيدين المشهورين كانوا يأخذون عن بعضهم البعض قواعد النظم وأسرار البلاغة " فإذا كان أهل ذلك الزمان قد احتاجوا إلى التعلم الطويل فما ظنك بأهل هذا الزمان "[16]وحال الشعر والنثر سواء .

وقد جعل عبد الحميد معرفة اللغة العربية في المرتبة الثانية بعد معرفة كتاب الله ، ذلك أن عصره كان عصر انفتاح ألقى أثره على اللسان العربي ، وهو ما أراد أن ينبه إليه الكتاب ، وخاصة قضية اللحن والتي كانت نتيجة طبيعية لمستجدات العصر، والتي دفعت الكثير إلى وضع المؤلفات التي تحذر من جلل الظاهرة وتبين موقعها، ومنها كتاب "لحن العوام " للزبيدي والذي جلى الظاهرة قائلا" ولم تزل العرب في جاهليتها وصدر من إسلامها تبرع في نطقها بالسجية وتتكلم على السليقة ،حتى فتحت المدائن ، ومصرت الأمصار، فاختلط العربي بغيره، فوقع الخلل في الكلام، وبدأ اللحن في ألسنة العوام" [17] وقد عقد السيد يعقوب بكر بابا في كتابه "نصوص في فقه اللغة العربية" عدد فيه مجموعة من المؤلفات ورتبها ترتيبا زمنيا تعالج جميعها قضية اللحن في اللغة[18] ، ولا تدل كثرتها إلا على خطورة الظاهرة واستفحالها في العصر الأموي والعباسي ...

وقد استشرف عبد الحميد هذا الأمر فقرن تعلم اللغة العربية بعلم كتاب الله، وجعلهما متكاملين، كما شبه هذه اللغة بالثقاف الذي يقوَّم به الرمح ، وعليه فلا تؤخذ اللغة إلى صحيحة سليمة على النحو الذي نزلت به لغة القرآن .

3- المعرفة بالخط :

جاء الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فمجد العلم ،وحث على طلبه، وحض على التفكير والتدبر والبحث وإعمال العقل ، والتفتح على ما يساعد على الارتقاء بالمجتمعات كالقراءة والكتابة وغيرها من المهارات والمعارف.

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام أول من عمل على انتشار الكتابة في المجتمع العربي الذي لم تفش عنده الكتابة من قبل لعوامل معروفة معلومة ، وعمل الرسول الكريم على إرساء دعائم هذه المهارة بين المجتمع بما فرضه على الأسرى غير المسلمين من تعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة وهو بذلك قد فتح للعرب بابا للمدنية والتحضر.

وانتشرت الكتابة، وبديهي أن يلتقط العقل العربي هذه المهارة باقتدار ، بل ويبدع فيها ، ويبدأ بتقييد نصوصه الشرعية والتراثية وتدوينها، و صار الخط وتجويده من ملامح الثقافية العربية الإسلامية ، وجانبا من جوانب الإبداع في عصر صدر الإسلام وما بعده، دون أن ننسى طبعا المراحل المتتالية التي مر بها الخط من النشأة إلى التطور عبر العصور والحضارات.

وحينما نجد عليا بن أبي طالب يقول " الخط الحسن يزيد الحق وضوحا" فإن هذا مما يعطي دفعا كبيرا لامتلاك هذا المؤهل ، حتى غدا ومع التدرج في الزمن فنا له خصائصه وفنياته ، وانقسم فيه الناس بين الهواية والحرفة و اتخاذه وسيلة للعيش...

أما للكتابة فهو حليتها ، ذلك أن أول ما تقع عليه العين عند تلقي الرسالة هو الخط ، ولذلك كانت العناية به بالغة وخاصة في العصر الأموي ، العصر الذي دبجت فيه هذه الرسالة ،ومما يدل على درجات التقدم التي بلغها الخط في العصر الأموي تحديدا عما سبقه " أن الخط الأموي من خلال الكتابات الأموية التي وصلت من المواد المختلفة بدأ بمراعاة المسافات بين الكلمات والأسطر بشكل جيد وكذلك مراعاة المسافة بين الحرف والحرف الآخر الذي يليه ، مع الاهتمام بمنح كل حرف نصيبه المعقول من الطول والقصر أو الدقة والغلظ مما أدى إلى انتظام السطور وتساوي المسافات ".[19]

ما يعني أنه أصبحت للخط في العصر الأموي قواعده الجديدة و طرق هندسته وتشكيله خاصة " أن الكتابات القديمة بعامة امتازت بالخط اليابس، ونتيجة لانتشار الكتابة في هذا العصر ظهرت الحاجة لإلى الليونة نتيجة للسرعة في الكتابة وخاصة في المراسلات والعقود ."[20]

ناهيك عن حركة التدوين المتسارعة، وكتابة المصاحف ، هذه المؤثرات جميعا زادت العناية بالخط وأثرت في تطوره، وجعلت التمكن منه حلقة من حلقات المعرفة في ذلك العصر، وجانبا من جوانب الثقافة العربية الإسلامية وعلى الكتاب الذين نظر إليهم عبد الحميد الكاتب كهيئة منظمة في الدولة أن يكونوا على دراية بالتطورات اللاحقة به حتى يستعملوه بإتقان.

وقد ظهرت في عصر الكاتب أسماء سارت بالخط خطوات نحو التطور، "وأول من اشتهر بجودة الخط قطبة المحرر (ت154ه) والذي وصف بأنه أكتب الناس على الأرض بالعربية، ثم مالك بن دينار (ت130ه) والذي كان يكتب المصاحف بالأجرة، وخالد بن أبي الهياج كاتب الوليد بن عبد الملك، وشعيب بن حمزة كاتب هشام بن عبد الملك وغيرهم ." [21]

4- المعرفة بالشعر العربي

اتفق العلماء والمؤرخون واللغويون على أن الشعر العربي ديوان العرب ، جمع مآثرهم ، وحمل قيمهم التي يؤمنون بها ، وجسد آمالهم ووصف آلامهم . و المؤكد أنه اكتسب قيمته من العصر

الجاهلي أين كان علمهم الذي ليس لهم علم أصح منه على رأي عمر بن الخطاب خليفة المسلمين ، في حين كانت المعارف الأخرى مضطربة ليس لها بنيان قويم.

وللشعر كما ذهب إلى ذلك محمد بن سلام الجمحي " صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات. "[22]ولا شك أن العارف بصناعة الشعر قد أخذ حظا وافرا من علوم اللغة بنحوها وصرفها وتصاريفها البلاغية.

والشعر مصدر معرفي من مصادر المعرفة الموثوقة عند العرب ، وضح ذلك ابن قتيبة في مقدمة كتابه الشعر والشعراء ، حيث قال" وكان حق هذا الكتاب أن أودعه الأخبار عن جلالة قدر الشعر وعظيم خطره، وعما أودعته العرب من الأخبار النافعة، والأنساب الصحاح، والحكم المضارعة لحكم الفلاسفة، والعلوم في الخيل، والنجوم وأنوائها، والاهتداء بها، والرياح وما كان منها مبشرا أو جائلا، والبروق وما كان منها خلبا أو صادقا، وعما يبعث منه البخيل على السماح، والجبان على اللقاء، والدني على السمو..."[23]

فالشعر العربي إذا سجل مخلد لمآثر العرب جميعا، فيه أخبارهم ، وأنسابهم ، وحكمهم ، ومعارفهم ، وأخلاقهم . ناهيك عن لغتهم وغريبها ومعانيها وألفاظها وتراكيبها ، وكان لزاما على كتاب الأمة أن يحيطوا علما بهذه الأمور جميعا ، والذي قام الشعر بجمعها فسهل عليهم الأمر من حيث لا يدرون .

5- المعرفة التاريخية .

من المؤهلات التي رآها صاحب الرسالة مكملة لمعارف كتاب الدولة معرفتهم بتاريخ العرب والعجم وأيامهم وحوادثهم، ويعد التاريخ واحدا من المعارف التي تزامنت وبداية الحضارة الإنسانية، وشقت طريقها بدءا مما أثر من كتابات على الكهوف والجدران والحجارة وغيرها ...

ومن "خلال الصورة التي كانت تحياها البشرية في القرن السادس ميلادي التقى التاريخ في مسيرته بالإسلام، ومنذ بزغ فجر الإسلام إلى اليوم وهو بالغ الأثر في حركة التاريخ وفي تطور الإنسانية" [24]

ثم غدا حلقة مهمة من حلقات الفكر الإسلامي ، وكان لزاما على من يتصدر لمثل تلك المناصب في الدولة أن يكون ملما بالعوامل التي أوجدت هذا التاريخ وساعدت على تشكيله وأهمها " وضع التقويم الهجري ، والاهتمام بالأنساب ، والدراسات المتعلقة بالشعر العربي على اختلافها والتي أدت إلى حفظ الكثير من الأخبار والأحداث المتعلقة به ، وكذا ظاهرة الشعوبية وتأثيرها على المجتمع العربي ، ناهيك عن تشجيع الخلفاء والحكام الذين شغلتهم المعرفة التاريخية " [25]ولا أدل على ذلك من كتاب السيرة لابن إسحاق والذي عد من المؤلفات الأولى التي كانت بأمر من الخليفة العباسي المنصور.

وهذه العوامل التي أسست للمعرفة التاريخية جزء لا يتجزأ من ثقافة كتاب الدولة ، ولا تخلو منها كتاباتهم ، فالمرجعية التاريخية تتكامل والمرجعية الدينية ، ولكل منها حضور في الكتابة الرسمية وأثر كبير، ولهذا فإن " أول ما عني به من التاريخ الإسلامي سيرة النبي وما يتبعها من مغاز، ينضوي تحتها ما كان دائرا بين العرب في جاهليتهم، و في الشق الثاني حياة النبي (ص) وجهاده وغزواته "[26]

وهي جميعا معارف تتداخل لتشكل شخصية المسؤولين على شؤون الدولة ، فمعرفة أحوال التاريخ وأحداثه ووقائعه ، وما مر على الأمم السابقة من أخبار وأيام ، والاطلاع على خصائص المجتمعات في حقبها التاريخية المختلفة والوقوف عند مكونات حضارتها ، كل هذا يسهم في صقل العقل ، وتنوير البصيرة، الاعتبار من تجارب الأمم السابقة، والأخذ من محاسنها وتجنب مثالبها .

خاتمة وتوصيات

1- **التكامل المعرفي نقطة قوة وفخر للأمة العربية في أزهى عصورها، بل هو الإرث الذي لازلت الأمة تزهو به إلى يومنا هذا .**
2- **أكد الواقع الذي فرضه التخصص اليوم أهمية التكامل المعرفي ، وكم هي كثيرة التخصصات التي تبقى عارية إن لم تدثر بمعارف أخرى .**
3- **عودة الحديث عن التكامل المعرفي في وقتنا الحالي دليل على أهميته ، وعلى ضرورة العودة إلى نهج علمائنا القدامى الذين ساروا على درب المعرفة المتكاملة لا المجزأة، إيمانا منهم أن العلوم إنما وجدت لتتكامل.**

الهوامش

1 ينظر لسان العرب ، ابن منظور ، والقاموس المحيط ، الفيروز أبادي ، مادة (ك م ل) .

2 رجاء ديب الجاجي ، فعالية المنهج التكاملي في تنمية مهارات التفكير العلمي لدى طالبات الصف الثاني ثانوي علمي ، مجلة مركز تطوير التفوق، اليمن ، جامعة العلوم ، ع1 / 2009 ، ص95

3 الرسالة في : الوزراء والكتاب للجهشياري ، مطبعة البابي الحلبي، ط1938 ، ص 73-79 ، و صبح الأعشى في صناعة الإنشا. للقلقشندي ، ط1922 ، ص 85-89 ،

4 محمد كرد علي ، أمراء البيان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937 ، ص79-80

5 القلقشندي ، صبح الأعشى ،ج1 ، ص91 .

6أبو منصور الثعالبي ، نثر النظم وحل العقد ، مطبعة معارف ، دمشق ، 1300ه ، ص 03 .

7 أبو هلال العسكري ، الصناعتين، الكتابة والشعر، دار البشير، طنطا ، ط1 ،1408 ، ص154.

8 محمد بن يزيد المبرد ، الفاضل، دار الكتب المصرية، القاهرة ن ط3 ، 1421 ، ص04

9 السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، دار الكتب العلمية ، ط2000 ، ص 180-181.

10 مصطفى صادق الرافعي ، تحت راية القرآن، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 2005، ص 19.

11 العسكري ، الصناعتين .

12 أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج1 ، ص 297

13 المبرد ، المصدر السابق ، ص 04

14 أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، الزاهر في معاني كلمات الناس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ،1996

15 أبو الحسن حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1981 ، ص27

16 المصدر نفسه ، ص12

17 أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، لحن العوام ، تحقيق رمضان عبد التواب ، القاهرة ، 1964 ، ص 4-5

18 السيد يعقوب بكر، نصوص في فقه اللغة العربية، ج1 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، ص216 وما بعدها.

19 يحي وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، بيروت ، ط1 ، 1994 ، ص96

20 المرجع نفسه ، ص96

21 المرجع نفسه ، ص99

22 ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء،

23 ابن قتيبة الدينوري ، الشعر والشعراء ، تح أحمد محمود شاكر ، ص69-70

24 أنور الجندي ، الإسلام وحركة التاريخ ، رؤيا جديدة في فلسفة تاريخ الإسلامي، دار الكتاب المصري، القاهرة ،ط8، ص 24

25 شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، مج 1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1979، ص 64-68

26 أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ص 319.

قائمة المصادر والمراجع :

1. ابن خلدون ، المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان.
2. ابن قتيبة الدينوري ، الشعر والشعراء ، تح أحمد محمود شاكر .
3. أبو الحسن حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1981 .
4. أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، لحن العوام ، تحقيق رمضان عبد التواب ، القاهرة ، 1964 .
5. أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، الزاهر في معاني كلمات الناس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ،1996.
6. أبو منصور الثعالبي ، نثر النظم وحل العقد ، مطبعة معارف ، دمشق ، 1300هـ .
7. أبو هلال العسكري ، الصناعتين، الكتابة والشعر، دار البشير، طنطا ، ط1 ،1408.
8. أحمد أمين ، ضحى الإسلام ،دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ط10
9. أنور الجندي ، الإسلام وحركة التاريخ ، رؤيا جديدة في فلسفة تاريخ الإسلامي، دار الكتاب المصري، القاهرة ،ط8.
10. الجهشياري، الوزراء والكتاب ، مطبعة البابي الحلبي، ط1938 .

11. رجاء ديب الجاجي ، فعالية المنهج التكاملي في تنمية مهارات التفكير العلمي لدى طالبات الصف الثاني ثانوي علمي ، مجلة مركز تطوير التفوق، اليمن ، جامعة العلوم ، ع1 / 2009
12. السيد يعقوب بكر، نصوص في فقه اللغة العربية، ج1 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان .
13. السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، دار الكتب العلمية ، ط2000 .
14. شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، مج 1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1979.
15. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،دار الكتب العلمية، لبنان ، ط1922 .
16. محمد بن يزيد المبرد ، الفاضل، دار الكتب المصرية، القاهرة ن ط3 ، 1421 .
17. محمد كرد علي ، أمراء البيان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937 .
18. مصطفى صادق الرافعي ، تحت راية القرآن، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 2005..
19. يحي وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، بيروت ، ط1 ، 1994 م